

## صبيحة حق (\*)

أيها الشرقي كيف يطيب لك النوم على فوارب هذه الامواج  
المضطربة، وفي مهاب هذه العواصف الماتية، اما ازعجك هذا المرح المتطم،  
وارهبك هذا اللج المغتم، اما اقلقك هزير<sup>(١)</sup> هذه الرياح المتأوحة،  
وهزّت جسدك زعازعها المتأوحة، ام صبغت آذانك<sup>(٢)</sup>، وخدّرت  
جفانك، فمذّر إسماعك وتحسيسك<sup>(٣)</sup> ورأس من ايقاظك  
وتنبيهك، لو انك يقظان لكنت اجدر بالاطيط<sup>(٤)</sup> من النطيط<sup>(٥)</sup> وأخلق  
بالزفير والشهيق، من المكاء والتصفيق، ويحك هل انت فاقد الرشد لصغر  
سنك، واختبال عقلك، ام انت زمن عاجز؟ اذا كنت صحيح العقل  
والجسم فكيف رضيت ان تقيم الاجني وصياً وقيماً عليك بحيث اذا  
لم يقدم لك مادة طعامك ولبوسك وكنك وادوات الوصول اليها تموت  
من الجوع والعري وهو لا يسمع لك بهذا اللجاج<sup>(٦)</sup> الذي تأكله،  
والسّمول<sup>(٧)</sup> الذي تلبسه، الا ليستخدمك ويستملك كما يستعمل الآلات  
الميكانيكية. لا يحد عنك ما ترى في بلادك من مظاهر الثروة على بعض  
افراد التجار فلو اتفقت في وجوههم مصارف (بنوك) أوروبا وطلت ايدي

(\*) فاتحة العدد الثالث عشر الذي صدر في ٢٥ الحرم سنة ١٣١٦

(١) صوت للرجح « ٢ أي ضربتها فأصمتها » ٣ « جعلك نحس » ٤ « صوت  
من اقله حمله » ٥ « صوت اللاتم » ٦ « ادنى ما يؤكل » ٧ « ثوب خلق

تجارها عن امدادهم لخاصوا حيصة الخمر، واضطربوا اضطراب الارشبية<sup>(١)</sup> في الطوي<sup>(٢)</sup> البعيدة القمر، لا رنك ارض بلادك (اطيانك) الواسعة فقد نقصها الغرييون من اطرافها، بل كادوا يحيطون بأكنافها، وقبضوا على موارد الثروة فيها، حتى انهم ليبيعونك ماءها الذي تحتسيه، ويتقاضونك أجرة طريقك الذي تجول فيه، لا زدهينك عظمة حكامك فقد أمسوا مغلوبين على أمرهم، ومنفذين لارادة غيرهم، الا قليلا ممن انجاه الله تعالى منهم، ولست أخص بهذا مايفتات به رجال الانكاي على الحكومة المصرية من نحو بيع سفنها وصفافها<sup>(٣)</sup> مثلال اعمم به كل قانون جادت به الحكومات الشرقية { لاسيما الاسلامية } على أهل أوربا تجارت بذلك وعدلت عن طريق الفضيلة الدينية كإباحة السكر والبغاء والكشف الطبي على البنايا الذي تقشعرت صورته جلود الذين آمنوا وينفعل لتذكرة روح كل معتقد بدين سماوي . قلنا انهم مغلوبون على أمرهم لكن هذا الغلب لم يجبروا عليه بغيري<sup>(٤)</sup> المدافع وحصص البنادق وانما كان لضف في الدين ووهن في العزيمة وجهل بمقاييس الامور . ادمشتهم عظمة أوربا واستهوتهم زخارف مدينتها فظفقتوا يتقربون اليها ، ويقلدونها بأقبح ما لديها ، عن غير روية ولا بصيرة « الاساء ما كانوا يعملون »

دع عنك التفكير بسينات الحكومات واصرف بصرك الى وطنك وماذا يجب له عليك . حدق النظر واستطلع الخفايا واستجل الدقائق يتجل لك انك دعامة وجوده، وروح حياته، بك يمش ويحيا ، وبك يموت ويفنى،

(١) جمع رشاء وهو جبل اللؤلؤ (٢) البئر (٣) أراضيها المستوية

بك يعز وينقى، وبك يذل ويشقى، واذا تجلى لك هذا تشعر بأن لك شأنًا عظيمًا في الوجود وتحس بهواك المقدسة التي أودعها مدبر الكون في جرتومتك الانسانية، فتندفع الى طلب الفضيلة الحقيقية، والكمال الصحيح الذي انت له اهل، ولا ترضى ان تكون نقاما<sup>(١)</sup> اشجانيا<sup>(٢)</sup> أو إصمًا<sup>(٣)</sup> او غطاريا<sup>(٤)</sup> وانرضى بذلك الجماهير الذين فقدوا هذا الشعور والاحساس الشريف . كل من يرى نفسه في قصور عن اسعاد وطنه واعلاء منار امته فهو كافر بنعمة العقل محروم من الكمالات الانسانية التي ارتفع بها البشر، عن مرتبة الحجر والبقر .

من احط شأننا ممن يرى ان السعادة الانسانية، في التمتع بالشهوات الحيوانية، ويقنع بأن يفوقه الثور في اكله، والعصفور في سفاده، والطاووس في لبوسه، والفرس في خيالاته، والثعلب في حيله، ويطيب له العيش وهذه المجاوات افضل منه واكمل فيما حسبه فضيلة وكالا . ايه، ان من الحشرات ما يعمل ويسعى لجنسه ووطنه كالنحل والنمل، افترضى ايها الشرقي ان تكون اخس من الحشرات وانقص من الهوام ؟ الى متى هذا التفرق والتبديد، والتوحيد والتفرد، مد يدك لمواطنك ومشاركك في مواد حياتك وتماهدوا وتعاونوا جميعا على ما فيه منفعة الجميع، اخلط مالك بما له، مختلط نفسك بنفسه، واعملوا مجتمعين فقد كفاكم ما جناه عليكم التفرق والافراد . بادروا الزمان، قبل فوات الامكان، فيوشك أن لا يدع الدخيل لكم باباً

« ١ » المتكبر بما ليس عنده « ٢ » بمعنى الاول والمفرط فيما يقول « ٣ » هو الرجل الذي لا رأي له ولا عزم فيتابع كل أحد على ما يريد « ٤ » هو الرجل الذي لا خير عنده ولا شر

من أبواب الثروة الا أقفله، ولا سبباً من أسباب النجاح الا قطعه، فماذا  
 ينفعكم التنبه إذا أغلقت دونكم الابواب، وقطعت بكم الاسباب، ألفوا  
 الشركات المالية، وشيدوا المدارس الوطنية، وربوا أبنائكم وبناتكم على ما  
 تقتضيه مصالحكم الوطنية، وآدابكم الدينية، فلا نجاة ولا نجاح لكم الا بهذا.  
 وأما التشدد بالقيل والقيل، والجللاء والاحتلال، وقطع الزمان بالاماني  
 والتشهي، وتأسف المجازر والزمن، فهو مما يضيع الفرص ولا يفني عنكم  
 شيئاً والماضي عنوان الآتي

معاشر العثمانيين، وأنتم أول من أعني بالشرقين، ليذكر عالمكم  
 جاهلكم، ولينذرو متنبهكم غافلكم. ألفوا الشركات، وعلموا البنين  
 والبنات، « ولا يجر منكم <sup>(١)</sup> شأن <sup>(٢)</sup> قوم على أن لا تعدلوا » ولا  
 يصدنكم اختلاف المذاهب، عن الاتفاق على المكاسب، فقد رأيتم العبر في  
 البلاد التي أصابحت لوساوس الاعداء، وعمت بدسائس الدخلاء، وكيف  
 خربت ديارهم، واجتثت أشجارهم، وسفكت دماؤهم، وبنمت أبنائهم،  
 وما كان من قلب اوضاع، واستباحة ابضاع، والدين من وراء ذلك،  
 ينهي عن انتهاج هذه المسالك

تذكروا في معنى الامة والوطنية واقدرُوا حق الشعب قدره، يتضح  
 لكم ان الامة تتكون بالاجتماع، على الاتفاح، وبالأتحاد، على نيل المراد،  
 وبترية الحاكمين الذين يقيمون النظام، ويحفظون الامن العام، يسهل على  
 الشعب أن يربي أفراداً وأمماً، ويمسر على الآحاد أن يربي شعباً كبيراً وامة  
 عظيمة، لا سيما مع قلة المال، وسوء الحال، فغنام التعلق بأذيال الحكومة،

والثبث بأهداب الآمال الموهومة ، والانحاء على الدولة بالتقصير ،  
والانخداع بالنفس والتغريب ،

تبه جماعة من اخواننا الاتراك الى أن الامة في حاجة الى اصلاح  
ولكنهم جهلوا طريقه أو تجاهلوه فلجأ بعضهم الى أوروبا وبعضهم الى مصر  
وانشأوا جرائد للتديد بسياسة المايين الهمايوني وقالوا من مقام الحضرة  
السلطانية ما نالوا ، وطعنوا في رجال الدولة العلية وسوء أوا أعمالهم وأحكامهم ،  
والتف عليهم قوم آخرون ، ولا يخفى على الناس ما يسرون جميعهم وما يطنون ،  
ولو صرفوا أقدامهم الى التعليم ، لهدوا الى صراط مستقيم

أو لم يكفهم ان سلطانهم وامامهم هو مقاوم بسياسته وحكمته لاوروبا  
كلها ، وانه قد أوقف بقواه العقلية الباهرة من تيارات الحوادث ، وسكن  
من عواصف الكوارث ، ما تعجز عنه الجماعات بل الامم ، حتى قال فيه رئيس  
مساسة الانكليز الذين يفوقون ساسة كل الامم وهو المستر غلادستون  
الشهير « ان السياسة الحميدة تغلبت على السياسة البريطانية وقهرتها في  
المسألة الارمنية » والفضل ما شهدت به الاعداء ، واعترف به الخصماء ،  
فاذا تفرغ من هذا شأنه لا عارة الاعمال الداخلية نظراً الا يمد ذلك من  
خوارق العادة في القوى البشرية ؟ بلى وان مولانا السلطان الاعظم قد بذل  
من العناية في داخلية ممالكه ما لو ساعده عليه أهلها ولم تق سيرة قن  
السياسة نهض بها نهضة عظيمة كما يشير الى ذلك قول « الاستاذ الانوي  
فيدي الرحالة المجري » من بضع سنين في ترجمة مولانا السلطان أيده  
الله تعالى وهو (١)

(١) ان هذا الاسادة نزل هذا القول في أريانس حوت سنة ١٢٧٠م سلطان تركيا سنة

« أقول عن ثقة وروية انه اذا استمر الاتراك سائرين في المنهج الذي نهجه لهم سلطانهم واذا لم تعرقهم مشاكل السياسة ومخاطرها بلغوا مبلغا يذكر فيشكر بعد زمان وجيز وتوطد أساس ارتقائهم العقلي والاقتصادي ووجودهم السياسي في مستقبل الايام. ولقد قال لي جلالة السلطان يوماً « قد جعلت السلم غرضي أسعى اليه جهدي اذ السلم هو الدواء الذي يشفي ما أصابنا في الماضي من قروح التقصير وادواء الاهمال وسوء التدبير » وذكر انه سمع من جلالته أيضاً ما ترجمته « ان أوروبا قد هزقت أرضها ومهدت تربتها أعواماً وعصوراً حتى جاءت بما نراه فيها من مصادر الحرية والمنشآت الحرية والآن يطلبون اليّ أن أقتلع فسيلة من صنابت الحرية فيها وأغرسها في أراضي آسيا الوعرة البائرة القاحلة . دعوني أتمهد هذه الاراضي قبلاً بما يحسنها فاقلم أشواكها وأرفع أحجارها وأفاح تربتها وأخذ الاخاديد واحفر الاقنية لاروائها لان أمطار آسيا قليلة نادرة ثم أنقل تلك الفسيلة اليها وأكون أول من يطيب نفساً ويقر هينا بنائها ونضارتها وغضاضتها »<sup>(١)</sup>

نم ان اطلاق الحرية للشعب الجاهل يزج به في الفواحش ونفسي به الى الهرج والقوضى فلا بد من السمي في تعميم التربية والتعليم مع نوع من الحجر والتقييد واطلاق الحرية لاصحاب الافكار والاقلام رويداً

= له فيه رأي آخر كما وقع لنا فقد علم وعلمنا ان السلطان كان هو العائق للعائنين عن الترقى وقد انكشف لنا الحق بعد الاستقرار في بلاد الحرية « مصر » نحو سنة « راجع مقدمة هذه الطبعة » « » انه لبت في الملك نحو ثلث قرن ولم يفعل

رويدا في ضمن دائرة الشرع - خلافا للمفتونين من حزب تركيا الفتاة الذين يسرون في طرق مجهولة ، ويرمون لاغراض غير معقولة ، ولقد صدق مولانا أيده الله تعالى فيما أشار اليه من كون أراضي نفوسنا فاحلة من المعارف وفيها أشواك وتضاريس ينبغي اراتها قبل إلقاء بذور الحرية فيها ، ولقد صدقنا وعده بالا جتهاد في ازالة الموانع ، وادالة المنافع ، ولكتالم نساعدته على تحقيق أمانيه الشريفة بل منا من تعدى الحدود وما وفي بالعهود<sup>(١)</sup>

أين الشركات التي عقدناها ، والمدارس الوطنية التي شيدناها ، امامنا امتيازات لانشاء سلك حديدية حملت الجهالة من ندمهم من أمثنا وأتقنا ، على اثار الاجاب على أنفسنا ، وبيع الامتيازات بأبخس ثمن ، مع ان بيها بمعنى بيع الوطن ، أنشأ الامير الماقل سعادتو محمد باشا الحمد مدرسة في عكار خباء برتبة عالية «ميرميران» ووسامات زاهية ، واثم على المدرسة بكتب قيمة ، ونسبها الى ذاته المعظمة ، « الحميدية » فهل وراء هذا ترغيب وتنشيط ، وهل ينبغي ان يكون معه قاعد وتفریط ، ولولا اشتغال مولانا أيده الله تعالى بحل المشكلات ، ومعالجة المضلات ، لانال الملك مجزومه وهتمته آماله ، وبلغنا من الارتقاء فوق ما قدر بذلك الرحاله ،

وخلاصة القول ان مولانا السلطان الاعظم سده الله تعالى جار على قائدة تقديم رده المفسد على جلب المصالح ، وما يعلم انه الهم على المهم ، ومع ذلك لا يأتي أن يكافيء من أصلح خلافاً ، وأحسن عملاً ، وانه يتعين على علماء الامة وأغنيائها ان يوافقوا رغبته في اصلاح داخلية البلاد والممل على

(١) « ا » اما والله اني كنت معتقدا لهذا القول يوم كتبته وانما كان اعتقادي

فيه باطلا وغرورا من سببه الشبهة الآتية

تربيتها لاسيما تميم تربية الحققة والتعليم الصحيح فهما الكافلان باستئصال  
الامراء الخونة، والحكام الظلمة، والماملان على اصطلام<sup>(١)</sup> الغي  
والفساد، والبغي والإداد<sup>(٢)</sup> هما المطهران للنفوس من أدوان الرذائل،  
والمسببان على الارواح حلال الفضائل، بل هما الروح الذي تحيا به الشعوب  
والامم، والنور الذي تستضيء به في دياجير الظلم، ولا يمكن الحصول  
على النرض منها الا بارشاد العلماء، وإرفاد الاغنياء، فمن قصر في وظيفته منها  
فهو خائن لامته ودولته، عدو لوطنه ومملته، فالجهل خير من علم لا ينفع،  
والاملاق (الفقر) أفضل من ثراء (غني) لا يرفع، ومن يرفب عن الحكمة  
الى الهوى، ولا يعرض عن مجالس اللغو، فهو جهول وان سموه بالعلم تدجيله،  
وصاحب فضول وان سموه صاحب التفضيله، ومن يحرز المال في صناعات  
الحديد، ويمسكه عن كل مشروع مفيد، وهو يرى بلاده تباع للدخلاء،  
وأزمة ثروتها تنازعها الغرباء، وابناءها منغمسين في الترف، وبناءها على  
شفا جرف، فهو الخاسر المتبون، والخائن الملعون، والاخرق المجنون،  
اتقاه سفه وتبذير، وامساكه شح وتقتير، بل خراب وتدمير، وان  
رقت قصوره ومزاتبه، ونصبت موائده وماآدبه، وجرت مركباته  
(عرباته) وجرت صراكبه، (ذهبياته)

فالوطن الوطن أيها المصريون، الوطن الوطن أيها العثمانيون،  
جانبوا البطالة والكسل، وأجبيوا داعي العلم والعمل، احفظوا جامعتكم  
للعمانية، واخلصوا للدولة العلية، تعاونوا على البر والتقوى، وتمسكوا  
من الحزم بالسبب الاقوى، وابتدروا المهج القويم، ولا تكونوا كدابة

« ١ » استئصال « ٢ » جمع أد هو المنكر والسجب والامر الفظيع والمهاجية